الوحدة الاولى
مقدمة

المدنية العالمية، هي حركة تمتد في جميع أنحاء العالم باختلاف الأديان والثقافات والأمم، وهي تعتمد على فكرة بسيطة جدا. والفكرة هي أنه يجب علينا أن نفهم حقوق المواطن وواجباته ليس في إطار أمته فحسب، بل في إطار العالم كله. المدنية العالمية، إذن، هي عقد اجتماعي بين المواطنين في عصر تزايد الاعتماد المتبادل بينهم، بينما يعيشون في دول منفصلة و مختلفة الثقافات والمعتقدات الدينية.

إن المدنية العالمية مفهوم جديد لكنه مهم في نفس الوقت. المدنية العالمية هي أن ننظر بمنظور عالمي عندما نحاول صياغة حلول للمسائل السياسية والمدنية. تم تطويره من قبل الدكتور الباحث حقان التيناي وهو يقوم بالتدريس في جامعة شبانسي في اسطنبول و محاضر في جامعات عديدة مثل كامبردج وأكسفورد. د.حقاني ألف كتابا حول المدنية العالمية وقد تمت ترجمته إلى لغات عدة وإلى فيلم وثائقي للمخرج الصيني الشهير جيان يي. كلا الكتاب والفيلم الوثائقي هو استجابة إلى زيادة الترابط والبحث عن كيفية معالجته. هم أكدوا على أهمية رفع توقعاتنا حول الاعتماد المتبادل العالمي و ما يترتب عليه من مواضيع بيئية.

لقد حان الوقت للأكاديميين والأخصائيين الاجتماعيين، والمسؤولين الحكوميين على حد سواء لتبني فكرة المدنية العالمية. و كما كتب كوفي عنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة و الفائز بجائزة نوبل للسلام لعام 2001 : إن نمو الترابط بين الناس عبر العالم يغذي فهمنا أننا جزء من المجتمع العالمي. إن الشعور بالترابط والالتزام بالقيم العالمية المتبادلة والتضامن بين الناس حول العالم يمكن استخدامها لبناء حاكمية عالمية ديمقراطية ومتنورة لصالح الجميع. أنا أتمنى أن تقوم الجامعات و مجموعات التفكيرعبرالعالم باستخدام هذه الينابيع من العلم والإبداع لتطوير وسائل تمكن الطلبة من دراسة ومناقشة هذه المواضيع. هذا المشروع هو موصول بشكل مباشر بالهدف الذي أتطلع إليه و أتبعه من قريب.

كما يصف كوفي عنان المسؤولية التي تحتم علينا الانخراط في عالم مترابط على نحو متزايد خاصة في القرن الواحد والعشرين، فإن كلماته مألوفة لدى الكثير من المسلمين الذين عايشت حضارتهم هذه الأفكار منذ القرن الخامس. ففكرة أننا جميعا مسؤولين عن بعضنا البعض لأن لدينا سبل العيش و الموارد و التاريخ المشترك، هي نفس المبدأ الذي عبر عنه نبينا محمد الحبيب (صلي الله عليه وسلم): "كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته" في الإسلام، فإنه من واجبنا أن ندرك أن كل واحد منا هو الوصي على

خلق الله في العالم. الجميع بدءا من الطفل بمجرد دخوله مرحلة البلوغ، إلى الطالب والأم والزوج و صاحب العمل و السياسي. إن تحقيق هذه المسؤولية هو الخطوة الأولى لخلق أرضية صلبة لننطلق منها لاتخاذ إجراءات ملموسة.

في الواقع، هناك فترات تاريخية عظيمة في تاريخ الإسلام عندما كان هذا المفهوم مطبقا على أرض الواقع. أبرزها عالم مسلم هو الغزالي حين كتب على أهمية المحبة (الحب) في كتاباته الفلسفية على المجتمع ثم شرح مفهوم المصلحة العامة حيث على المرء التفكير بالمصلحة العامة كما هو مهتم بمصلحته الخاصة. هذا المفتاح للتوازن هوما نبحث عنه اليوم.

إن العلم يلعب دورا رئيسا في تحديد المشاكل الإنسانية و البيئية، وتوفير المفاتيح للتغلب على هذه التحديات. في الأساس، إن المدنية العالمية هي مهمة شاقة. فجعل الناس يتفاعلون اجتماعيا بينما هم لم يتقابلوا من قبل أبدا ومن المحتمل جدا أنهم لن يتقابلوا أيضا، لكن أفعالهم و قراراتهم ستؤثرعلى بعضهم البعض.

و من الأفكار التي وضعها الغزالي وغيرهم، ظهرت حضارة مزدهرة استمرت أكثر من ألف عام. في هذه الأثناء، برزت الاكتشافات في العلوم الطبيعية. على وجه الخصوص، شهدت مجالات الطب والهندسة والفلك، والثورات العلمية على مدى عدة قرون. ومن الأمثلة على ذلك، ظهور أول عالم في القرن العاشر اكتشف أنا نرى بأعيننا لأن الضوء يدخل إلى شبكية العين هو العالم المسلم الموسوعي ابن الهيثم،عالم الفلك و الرياضيات، و هو الذي اختره أول كاميرا ذات ثقب بعد ملاحظته طريق الضوء عبر الشقوق بين مصاريع النوافذ. و قائمة العلماء المسلمين والاكتشافات والاختراعات تطول وتطول.

إن محور البكرة هو وسيلة لتحويل الحركة الدائرة إلى خطية وهذا المبدأ مماثل لعمل الآلات في العالم المتطور. هذا كان اختراع عالم مسلم عبقري و مهندس كان يدعى بالجزري ليقوم برفع الماء للري. والعديد من المعدات الجراحية الآن هي مماثلة تماما للتصميم الذي أعده في القرن العاشر عالم جراح مسلم هو الزهراوي. إن مباضعه الجراحية و الملاقط و المقصات الدقيقة لعمليات العيون وأكثر من 200 آلة أخرى تستعمل الآن ومعروفة لدى الجراحين في عصرنا الحالي.

هذا الإزدهار الحضاري الذي دام أكثرمن 1000 عام هوالذي انعكس إلى المساواة الأخلاقية التي ساوت بين البشر من مختلف الأديان والخلفيات الاجتماعية. فقد تم تعيين معتنقي جميع الديانات السماوية الثلاث لمناصب سياسية هامة. ومثلت المسلمين

والمسيحيين، واليهود أيضا في الإنتاج الثقافي من الموسيقى والأدب والفنون عموما. وقد كان إسهام المرأة أيضا ملحوظا. فقد كان الحاكم في ذلك الوقت، الخليفة المأمون،يقول: أن العقل والإيمان هما في تعايش متناغم.

إن الوصول إلى التوازن الذي يأخذ بعين الاعتبار حاجاتنا ورغباتنا لكن ضمن أطر للسيطرة عليها لا أن تسيطر هي علينا. ليعطينا مثالا متوازنا للحياة التي يجب أن نقتدي ونتبع.

ونحن نراجع هذا التاريخ المزدهر، يجب أن نأخذ منه ما نحتاجه من أجل مستقبل أفضل. في التفكير في التربية المدنية العالمية فيما يتعلق بهذا السؤال، بداية يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن ليس كل الأديان والثقافات والأمم لديها القدرة المتساوية على معرفة طريقة المضي قدما في المدنية العالمية، فضلا عن حقيقة أنه في عالم اليوم، هناك عدد قليل من البلدان لديها قوة وسلطة على العالم أكثر من غيرها. فإن كنا نسعى نحو صياغة مدنية عالمية حقيقية، يجب أن نأخذ في الاعتبار هذه الاختلافات في السلطة لنتأكد من أن لا تظلم فئة أو أمة أخرى، وأن يكون للجميع صوت مسموع وأثر واضح. لأن التاريخ قدعلمنا أن المنتصر دائما هو الذي يضع قواعد اللعبة، و في معظم الحالات تكون نظرة المنتصر ضيقة فلا تشمل العالم والإنسانية جمعاء. و بالتالي فإن المدنية العالمية الحقة يجب أن تكون بمعزل عن أي تأثير من جهة أقوى من أخرى. لأن جميع البشر سواسية. و لايوجد قومية أفضل من أخرى. الكل سواء.

إن خطاب المحبة والتسامح يجب أن يكون دائما على مسافة من الواقع الملموس. إن نظرة سريعة على أي صحيفة تكشف كيف تم حرمان البشرمن الحب و التسامح ، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط وجنوب آسيا، ما يستخدم مصطلح "الديمقراطية" كغطاء للاستغلال الاقتصادي والسياسي. لذلك، من الواضح أن الحب والتسامح أصبحا حقا لبعض الناس فقط و ليس للجميع. و السؤال الآن هو، ولنفكر فيه بطريقة أخلاقية وناقدة: كيف لنا أن تقرر من الذي يستحق ومن الذي لا يستحق الحب والتسامح؟ كيف منح الحب و التسامح لشخص واحد أو مجموعة يمنع شخص أو مجموعة أخرى منهما؟ وكيف تقدم الحب والمغفرة إلى شخص معين أو جماعة أو أمة ينكر ذلك للآخرين؟ في ضوء هذا السؤال، يمكن أن نطلب آخر: كيف يمكننا خلق نظام من الضوابط والتوازنات بحيث أولئك الذين يحرمون الحب والمغفرة تتاح لهم الفرصة للمطالبة بحقوقهم؟

أما فيما يتعلق بالعلم، هناك اعتبارات أخرى. في البداية، علينا أن نعترف أنه في حين يمكن استخدام العلم لتحقيق الغايات الإنسانية والإنتاجية، يمكن أيضا أن يستخدم – وقد استخدم على مر التاريخ - نحو استغلال الموارد الطبيعية، وكذلك العنف ضد الإنسانية العظيمة. فلو عدنا بالتاريخ لنتذكر تأثير الأسلحة النووية على الملايين من الناس خلال الحرب العالمية الثانية، وكذلك التهديد المستمر من الحرب الكيميائية. في الواقع إن التاريخ الحديث يبين لنا أنه طالما أن كل دولة تنظر في مصلحتها فقط، فسيكون هناك عداء دائم متبادل بين الأمم بأسلحة متقدمة. المدنية العالمية تسعى لوضع محددات من خلال النظر ليس فيما هو جيد بالنسبة لأي دولة واحدة بعينها فقط، بل فيما هو جيد لجميع الدول حفاظا على إنسانيتنا المشتركة.

و بسبب هذه الاعتبارات يجب أن نعي أن ممارسة المدنية العالمية تختلف بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية. على سبيل المثال الطالب خريج العلوم في البلدان الغربية عادة ما يكون جاهلا بمقدار الدمار الذي يعانيه العالم بسبب التطور العلمي الذي وصلته الدول الغربية. بينما طالب العلوم في الدول النامية هو يعاين هذا الدمار يوميا في بلده. لذلك فإنه و باسم المدنية العالمية يمكنك أن نطلب من المواطن الغربي أن يتطوع في بلد فقير لتحسين المياه و التعليم وغيره ولكن ليس من المنطق أن تطلب من طالب من الدول الفقيرة نفسها أن يتطوع في دولة غير دولته لتحسين المياه والتعليم وما إلى ذلك، لأن دولته هي أحق بجهده. وهناك مثال آخر كيف أن طريقة تقديم المدنية العالمية ينبغي أن تختلف بين البلدان فالتركيز في البلدان النامية لا ينبغي أن يكون حول النفايات النووية وطبقة الأوزون على الرغم من أنهم يجب أن يكونوا على علم بهذه الحقائق، لكن ينبغي أن يكون التركيز على كيفية مكافحة الفقر و القمع وتحسين التعليم والصحة. المسؤولية هنا تقع أكثر على البلدان التي تساهم في تدمير البيئة والإنسانية نتيجة تطورها العلمي. و في نهاية المطاف، إن الهدف من المدنية العالمية هو الحفاظ على الإنسانية والموارد الطبيعية من أجل الأجيال التي ستأتي بعدنا.

ولا بد من تدريب خريجي العلوم ليتمكنوا من تطبيق المدنية العالمية من خلال ممارستهم لمختلف العلوم لأنهم من خلال العلم يساهمون في بناء المستقبل، و بالتالي يجب أن يكونوا حذرين أيما حذر من أن ينحرفوا قيد أنملة عن مبادئ المدنية العالمية لأنهم حينها سيكونوا هم الذين يدمرون مستقبل الأرض من موارد طبيعية وبشرية.

لا بد للعلماء أن يتشربوا مع تدريبهم حب الأرض والبشر فتكون ممارستهم للعلوم معتمدة على الضمير الأخلاقي والإحساس بالغير. وبالتالي يرفض عالم الأحياء اختراع فيروس يقتل الناس، والكيميائي تدمير الطبيعة.

و هكذا يصبح الحب والتعاطف أساسا لتطبيق المدنية العالمية. فمع الحب الحقيقي للبشرية تأتي المسؤولية تجاه البشر. و كعلماء لابد أن نفكر في مستقبل الأجيال (عامل الآخرين كما تحب أن يعاملوك).

إن الطبيعة أكبرمثال على التوازن والتناغم المثالي. ونحن كعلماء لا بد أن نتعلم من الطبيعة أهمية الحفاظ على هذا التوازن و أن نمارس المدنية العالمية عن طريق احتذاء نموذج الطبيعة كقدوة لنا في ذلك. هذه المهمة لا يمكن أن تتحقق بحساب مكاسب ومصالح بدم بارد. إننا بحاجة إلى الإحساس بالانتماء إلى المجتمع و تعزيز الوعي والمحبة والاهتمام بالغير والعمل الجماعي.

إن مهمة فتزر هي تعزيز المحبة والتسامح بين البشر. و أحد أبرزأوجه المحبة والتسامح هو الإحساس بغيرنا من البشر. وبالتالي شعورنا بالمسؤولية تجاه ما يحصل في العالم. إن المدنية العالمية تدعو إلى المسؤولية الجماعية لنهتم بالعالم و ببعضنا البعض.

أحد جوانب المدنية العالمية هو المسؤولية في مجال العلوم الطبيعية. فنحن كعلماء ومواطنين على كوكب الأرض نعرف كم هو كوكب هش. فهذا الكوكب مثلا حساس لأي نشاط بشري يؤثر على البيئة فيستهلك المصادر المحدودة و يخلق تغييرا في المناخ ويعرض الأجيال القادمة للخطر. وتقع على عاتقنا مسؤولية أن نجعل حبنا يتجاوز الحاجات الشخصية لنحفظ هذه الموارد ونبذل أقصى جهدنا نحو استدامتها. ومهمتنا هي أن نجعل حبنا يمتد حتى يصل إلى كوكب الأرض و من يشاركنا العيش عليه. لذلك فإننا ندعو إلى فهم أكبر للمحبة والتسامح كأساس علمي و معرفة أساسية تمكننا من مواجهة تحديات القرن الواحد و العشرين. وهذا ما يتوافق تماما مع مفهوم المدنية العالمية.

في نهاية المطاف فإن كيفية التعامل مع ترابطنا المتزايد، في نفس الوقت الذي لا نستطيع أن نفهم وتتعاون مع بعضها البعض بسهولة، هي واحدة من أعظم المسائل في عصرنا. مناقشة كيف تسلك طريق المحبة والتسامح مع العلوم الطبيعية يمكن أن تثرينا و تدخلنا على أعتاب فتح جديد. و القيام بذلك في الشرق الأوسط هو أكثر أهمية، حيث أن هذه المنطقة هي غالبا غائبة إلى حد كبير عن هذا الحوار.

العالم الذي نعيش فيه

إن أي محاولة تروم التفكير في التربية المدنية الشاملة ينبغي أن تبدأ بإنشاء خط أساس وميزانية عمومية حول العالم الذي نعيش فيه. تملك الأمم المتحدة والبنك الدولي بيانات واسعة متاحة لأي شخص يريد دراستها. ونشرت مجموعة "بينغوان" " التي تعرض بعضا من هذه *State of the Atlas*) الأمريكية سلسلة من" Penguin(*The Global*البيانات في إطار مريح بصريا[1]. وفي السياق ذاته، هناك أيضا " "gapminder.org""[2]. كما تسمح المواقع العنكبوتية مثل *Citizen's Hanbook* الاستقصاءات التفاعلية. ويمكن لمسح القيم العالمية

)، والرأي العام العالمي www.worldvaluessurvey.org(

) تقديم أجوبة عن ما يفكر فيه الناس في أجزاء www.worldpublicopinion.org(مختلفة من العالم بخصوص مجموعة واسعة من القضايا. كما أضاف مسح القيم العالمية امتيازا تمثل في إتمام خمس جولات تمكن المرء من تعقب -مع مرور الوقت- تحولات حاسمة، مثل دعم المساواة بين الجنسين عبر العالم. إنه يتوفر أيضا على جهاز توصيل يعمل على نحو حميمي يمكّن غير المتخصصين من تحليل قاعدة بياناتهم بسهولة مذهلة.

إن تحديد المكان الذي نوجد فيه، يتطلب منا إدراك المكان الذي كنا نحيا فيه. ثمة قصص عديدة في العالم يمكن اختيارها. وكل مجموعة على حدة يمكن لها تحديد حول)Angus Maddisonقصتين. لكن التفكير في إهمال عمل "أنغوس ماديسون" (الاتجاهات التاريخية في الاقتصاد العالمي سيشكل خسارة واضحة[3]. إن لدينا ميلا معقولا يفترض أن حقيقتهم الخاصة بهم – وهي على الأرجح حقيقة حضرية وحديثة –

---

[1] Dan Smith, *The Penguin State of the World Atlas*, 8th ed. (New York: Penguin, 2008).

[2] World Bank, The Global Citizen's Handbook: Facing Our World's Crises and Challenges (New York: HarperCollins, 2007).

[3] Angus Maddison, *The World Economy* (Paris: OECD Publishing, 2006).

هي التي تمثل أسلوب الحياة المهين. لكن من الضروري تذكير أنفسنا بوجود حقائق أخرى؛ إذ لا بد أن يكون فيلم "برك" (Baraka) الذي أعده "رون فريك" (Ron Fricke) عام 1993، جزءا من كل القوائم المعروضة للمشاهدة ذات طابع التربية المدنية الشاملة. إنه عرض بصري لافت للنظر يتناول التنوع الإنساني، وقد يكون بمثابة تحد مفيد لادعاءات افتراضية[4]. وعلى نحو مماثل، يعد كتاب "رشار نسبيت" (Richard Nisbett) كما يعد كتاب "*Geography of Thought*" تذكيرا قويا بوجود تقاليد فكرية وأطر معرفية مذهلة خارج التقليد الغربي يجب أن تؤخذ محمل الجد[5]. ونحن نقر بوجود تقاليد فكرية مختلفة، يطفو سؤال جوهري على السطح: إلى أي حد يمكن لنا معرفة مأزق الآخرين؟ يتعرض فيلم "بول هاغيز" Crash لمخرجه ") عام 2005، إلى هذه المعضلة الحقيقية بالضبط. وإن أي نقاش (Paul Harris رصين بشأن التربية المدنية الشاملة، سيكون عقيما إذا لم يواجه هذه المشكلة بكل جدية.

[4] هناك عمل مماثل تحت عنوان: "*Earth from Above*" من تأليف "آرثوس-بورتراند" (Arthus-Bertrand). ويوجد أيضا التصوير المذهل على الرابط: www.yannarthusbertrandgalerie.com

[5] Richard E. Nisbett, *The Geography of Thought: How Asians and Westerners Think Differently...and Why* (New York: Free Press, 2003).